تقاليدها الفنية لم تكن قد تكاملت لها تماما ، ولكن من الواضح أيضا أنها كانت تصدر عن تجارب حقيقية ، ولم تكن كالتي عرف بها بين الشعراء المتيمين الذين عرفهم العصر الجاهلي . ولسنا ندعي أن المقدمات بدأ ظهورها في هذا العصر ، ولكننا لا نملك أن ندعي عكس ذلك ، فمسألة المقدمات من مشكلات الشعر الجاهلي الغامض لا نعرف متى بدأت ، ولا من بدأها ؟ وظاهرة أخرى تلفت النظر في المجموعة الفنية التي وصلت إلينا من هذا العصر ، وهي أن على امتداد هذه المجموعة تبدو الصنعة ناصعة الألوان إلى حد بعيد ويبدو الشعراء كأنهم لا يزالون يتحسسون طريقهم إليها ، ولما يضع الفن بين أيديهم مفاتيحها التي يكشفون بها عن كنوزها الثرية بعد ، وهي ظاهرة طبيعية تؤكد صحة هذا الشعر وتوثقه ، وتباعد بينه وبين شبهة الانتحال واتهامه ، ومرة أخرى لا بد أن نضع في حسابنا أننا مازلنا في بداية الطريق الطويل ، وأن الشعراء ما زالوا يجرون تجاربهم على العمل الفني ليؤصلوا له تقاليده ومقوماته ، وليكشفوا عن أسراره ليضعوه بين أيدي الشعراء الذين يتحركون خلفهم في الطريق الطويل .

وتتصل بهذه الظاهرة ظاهرة أخرى ترجع إلى الأسباب نفسها ، ففي شعر هذا العصر تنتشر الزحافات بصورة واسعة ، بل نرى في بعض الأبيات اضطرابا في إقامة الموسيقى العروضية ، واضطرابا في أحكام القوافي وبنائها ، ومرة أخرى يجب ألا ننسى أننا مازلنا في بداية الطريق ، وأننا مازلنا قريبي عهد بطفولة الشعر الجاهلي ، وأننا نمر بمرحلة انتقال بين عصرين ، وأن هذه الظواهر كلها رواسب من الأولية المبكرة التي لم يكن فن الشعر قد استقام تماما فيها على أيدي رواده الأوائل الذين قاموا بدورهم الكبير في عصر ما قبل التاريخ الأدبي ، وهو دور طوته - مع الأسف - رمال الصحراء في أعماقها السحيقة .

ولعل هذه العيوب الموسيقية لم تظهر في قصيدة من شعر هذا العصر مثلما ظهرت في قصيدة المرقش الأكبر التي أشرنا إليها منذ قليل ، ففي هذه